Princeton University Library
32101 058335967

Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

العلامة السيد محمد تقي المدرسي

الإمام الجواد عليه السلام

قدوة وأسوة

رابطة الاخوة الاسلامية

العلامة السيد محمد تقي المدرسي

الإمام الجواد عليه السلام

قدوة وأسوة

رابطة الاخوة الاسلامية

(NNCAP)
BP193
.19
.A3M823
1983

اسم الكتاب: الامام الجواد (ع) قدوة وأسوة.
المؤلـــف: العلامة السيد محمد تقي المدرسي.
الناشـــر: رابطة الاخوة الاسلامية.
الطبعة الاولى ــ ١٤٠٤هـ
عدد النسخ ٥٠٠٠ نسخة

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

احمد ربي الموفق عباده لطاعته، المقدر لهم الخير في عبادته، واصلي على النبي محمد سيد المرسلين وعلى اله المعصومين.

و بعد:

يسرني ان اجد فرصة متاحة لا غمر يراعي الصغير في بحر البطولة والعبقرية من حياة الامام الجواد ــ تاسع الائمة الطاهرين ــ حيث تمتزج فيه البطولة بالاستقامة والطهارة بالمجد والشرف.

والامام الجواد الذي اتشرف بسرد موجز من حياته المباركة، كان اقصر الائمة عمراً حينما ادركته المنية، فلقد ولد في سنة (١٩٥) هجرية وتوفي في سنة (٢٢٠)، وكل عمره (٢٥) سنة فقط.

و بهذه الناحية تكون حياة امامنا ذات اهمية تدعو الى البحث اكثر، حيث ان بعض البسطاء من الناس قد يستغربون امامة فتى لم يبلغ من العمر اكثر من سبع سنوات.

ومن جهة اخرى ان عصر الامام الجواد (عليه السلام) كان من العصور الزاخرة بالاحداث المختلفة والتيارات المتفاوتة التي تدعو الى دراسته بصورة خاصة.

ونحن اذ نقدم حياة الامام (عليه السلام)، نستعرض ايضاً بعض الاحداث لتاريخية التي رافقت حياته بين سنة (١٩٥ و ٢٢٠) هجرية.

فاليكم الحديث مفصلاً..

محمد تقي المدرسي
كربلاء المقدسة/العراق
٨٦/١١/٣٠هـ

• الفصل الاول

الأصل الكريم
والميلاد المبارك

١ ــ والده:

والده الامام علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام).

ولقد كان عبقرياً ملأ فضله وعلمه افاق العالم الاسلامي، فلهج بمدحه مخالفوه، كما هلل به شيعته وموالوه سواءً بسواء، فكان الرضا الذي ارتضى به الخالق اماماً وحجة، وللخلق سيداً وقدوة.

٢ ــ امه:

السيدة سبيكة النوبية التي وفدت الى المدينة مع من وفد من اهل افريقيا، فالتحقت بآل الرسول وأنجبت سيدهم الامام الجواد (عليه السلام)،

وتذهب بعض الروايات الى انها كانت من قوم مارية القبطية زوجة النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، الا ان ذلك مستبعد.

٣ــ ميلاده:

في عقيدتنا: ان الامام الذي يختاره الله لكي يكون قدوة صالحة للخير والصلاح يلزم ان يكون كاملا من جميع الوجوه، وايما نقص او عيب في الفكر او في الجسم، يبين ان الفرد ليس اماماً، ولقد كان الامام الرضا (عليه السلام) قد بلغ الخامسة والخمسين ولما يرزق ولداً، فذهبت بعض الاشاعات تنشر من قبل دعاة الواقفية الذين قالوا بغيبة الامام موسى الكاظم (عليه السلام) وانه لم يوص الى اي امام من بعده، قائلين بان الامام الرضا عقيم ليس له ولد وهو عيب واضح في القدوة الدينية. فاذاً، لايكون هو الامام الحق حسب زعمهم، حتى كتب بعضهم اليه (عليه السلام) رسالة قال فيها:

كيف تكون اماماً وليس لك ولد؟ فاجابه الرضا (عليه السلام): وما علمك انه لايكون لي ولد والله لاتمضي الايام والليالي حتى يرزقني الله ولداً ذكراً يفرق بين الحق والباطل(١).

وجاء اليه رجل من اصحابه يقول: من الامام بعدك؟ فقال: ابني، ثم قال: هل يجتريء احد ان يقول ابني وليس له ولد؟، فيحدث الراوي انه لم

---

(١) بحار الانوار

تمض الايام حتى ولد ابوجعفر الجواد(١).

ودخل عليه ابن قيام الواسطي وكان من الواقفية الذين لم يكونوا يعترفون بالامام الرضا (عليه السلام)، فاراد ان يعيب عليه فقال: ايكون امامان؟، قال: لا، الا ان يكون احدهما صامتاً، فقال الرجل هوذا انت ليس لك صامت، فقال بلى والله ليجعلن الله لي من يثبت به الحق واهله ويمحق به الباطل واهله، ولم يكن له في ذلك الوقت ولد، فولد له ابو جعفر بعد سنة (٢).

• الميلاد المبارك:

وكانت سنه (١٩٥) هجرية، وكان شهر رمضان وكان الشيعة المخلصون يعيشون اشد الانتظار لمقدم ولد الامام الرضا (عليه السلام)، ذلك الذي زخرت احاديثهم تنبيء عن مقدمه المبارك، وهم الراوون عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال: بابي خير الاماء النوبية، وهو يشير الى الامام (عليه السلام). ليدحضوا حجة الواقفية الذين قد اكثروا من الدعايات ضده.

وكانت تلك الليلة توافق ليلة التاسع عشر من شهر الله المبارك، حينما بزغ من افق الحق بدر اضحى شمساً للهدى، وسماءً في جلاله، الا وهو الامام الجواد (عليه السلام).

---

(١)و(٢) بحار الانوار

وتناقل الرواة الحديث على لسان والده العظيم يقول: هذا هو المولود الذي لم يولد في الاسلام اعظم بركة منه(١).

اجل، لقد ولد الامام في الوقت الذي اختلفت فيه الشيعة ايما اختلاف، وكانت دعايات بعض المخالفين لهم تشق طريقها الى افئدة بعض السذج منهم، كانت آية صدق الامام الرضا وابطال زعم الواقفية تثبت بميلاد ابنه الموعود.

فلما ولد الجواد (عليه السلام) ذهبت دعايات الواقفية ادراج الرياح، وذابت كما يذوب الملح في الموج الهادر، واصبح ميلاد الامام، سبباً لانتصار الحق واتحاد الشيعة، اتباع الحق، بعد الاختلاف والتفرقة، اضف الى ذلك ان الامام الرضا (عليه السلام) كان يقول دائماً ان ابني خليفتي عليكم وهم يرون ان لا ابن له، وحتى اذا بلغ مرحلة الكهولة، ومضت الشكوك تراود افئدة البسطاء من الموالين جاء الامام الجواد (عليه السلام)، فكان ميلاداً مباركاً ميموناً، فهللت الشيعة وسبحت لله لما رأت في احاديثها الصدق والحق.

• عهد الصبا:

وترعرع الطفل الشريف في رعاية والده العظيم (عليه السلام) كما يترعرع الورد على كف النسيم يضفي عليه والده المعارف والاداب، فتجتمع اصول

---

(١) بحار الانوار

الحسب و بشرف المحتد، فاذا بالمواهب تتفتح كما يتفتح الفجر عن صبح بهيج.

واذا بمشيئة الله تتعلق على ان يكون الطفل وهو في صباه سيداً واماماً.

سبق الدهر كله في صباه ومشى الدهر خادماً من ورائه

وكان عمره في الخامسة اذ جاءت رسل المأمون العباسي تحث والده الامام الرضا (عليه السلام) ليهاجر الى العاصمة الجديدة للبلاد الاسلامية وهي خراسان، و يكون ولي العهد وذلك بعد ما قتل المأمون اخاه الامين، وكانت الظروف تكره الامام علي بن موسى (عليه السلام) على ان يغادر المدينة الى خراسان عاصمة المسلمين الجديدة، حيث ان الحرب التي قامت بين الاخوين العباسيين، الأمين والمأمون، كانت قد صرفت كثيراً من طاقات المسلمين وقوداً مشتعلاً لها، بل قامت ثورة خراسان على كتف الشيعة هناك الذين استخدموا في ثورة العباسيين الاولى ضد الحكم الاموي، ثم سرقت ثورتهم بانحراف القادة وذهبت مساعيهم ادراج الرياح، وهذه الثورة الثانية قامت كرد فعل قوي لانحراف دفة الحكم عن آل بين الرسول، اصحابه الشرعيين، والمأمون كان ممن تشيع ظاهراً ونادى بمباديء الشيعة صريحاً في باكورة امره، واكره الامام الرضا (عليه السلام) على الرحيل الى خراسان ليثبت فكرة تشيعه في قلوب التابعين ثم يصنع ما يشاء.

استعد الامام الرضا للرحيل ولكنه كان يعلم يقيناً بما سوف يحدث له بعد

سفره، انها رحلة واضحة المعالم، ولكنها خطة يجب ان يسير عليها الامام حسب الظروف وحسب التعاليم الظاهرية للدين الاسلامي، يجب عليه ان يبلغ فيعذر، و يعمل حسب مقدرته على بث الوعي الصحيح للمسلمين وان كان ذلك سوف يودي بحياته الكريمة،ثم ودع اهله وجعل الخليفة عليهم ابنه الجواد، وهو ابن الخامسة فقط، لما كان يعرف منه من الكفاءة الموهوبة، وراح الرضا يخترق السهل والجبل الى خراسان حيث تستقبله الجماهير المؤمنة ويجعلونه ولياً لعهدهم، تنتقل اليه الخلافة الاسلامية بعد المأمون، وكانت الرسائل تربط بين الوالد والولد، فترد تباعاً بشان الامور الخاصة او العامة.

اما الامام الرضا (عليه السلام) فقد كان معجباً بنجله ايما اعجاب فاذا جاءت رسالة عن الجواد (عليه السلام) واراد ان يخبر شيعته بها قال: كتب لي ابو جعفر او كتبت الى ابي جعفر، فلا يقول إبني ولا يرضى باسمه الخاص، بل يكنيه اجلالاً واحتراماً.

واما ولده التقي في المدينة فقد كان يختلف اليه الشيعة اختلافهم إلى والده الرضا (عليه السلام) لانهم كانوا يعرفون انه امامهم في المستقبل، وعلى حد تعبيرهم (امامهم الصامت).

وذات يوم والشيعة في حضرة الجواد (عليه السلام) وفي مشهده اذ تغير حاله واخذ يبكي، فاذا جاء الخادم، أمره باقامة المأتم..

- عزاء من؟ ومأتم لمن؟ جعلت فداك.

- مأتم ابي الحسن الرضا (عليه السلام)، فقد استشهد الساعة في

خراسان.

ـ بابي انت وامي، خراسان قطر يبتعد عن المدينة آلاف الاميال، وتفصل بينها سهول وجبال.

ـ نعم، دخلني ذل من الله عز وجل لم اكن اعرفه، فعرفت ان ابي قد توفى(١).

وكان الامام الجواد يكنى بابي جعفر ليكون تذكاراً لجده ابي جعفر بن علي، الباقر(عليه السلام)، والا فلم يكن له ولد يسمى بجعفر.

وكان يلقب بالقاب شتى، منها الجواد، والتقي، والمرتضى، والمنتجب، والقانع، بيد ان لقباً واحداً اشتهر به اكثر من غيره وهو«ابن الرضا».

ان الامام الرضا(عليه السلام) حيث ذهب صيته في جميع الآفاق بالفضل والمجد، عرف الناس ابناءه باسمه، فكان كل من الامام التاسع والعاشر والحادي عشر يعرفون ب(ابن الرضا) لما كان للرضا من الصيت الواسع الحسن بين المسلمين.

---

١) بحار الانوار ـ ج ٥٠ ـ ص ٦٣

• الفصل الثاني

حياته وامامته

امام وهو (صبي):

الامامة في عقيدة الشيعة القائلين بها تختلف عنها في منطق الاخرين كثيراً. ان الكلمة تعني عند الشيعة الخلافة المطلقة لشخص الرسول ولعلومه ومعارفه ومؤهلاته وصلاحياته ومسؤولياته، و بتعبير اخر «صورة كاملة للنبوة»، بفارق واحد فقط ان الامام لايوحى اليه، بينما النبي يوحى اليه، فلا نبي بغير وحي، ولكن الامام بدونه.

والنبوة ــ في منطق الاسلام ــ صلاحية فريدة في نوعها ومتميزة عن صلاحيات سائر البشر، يهبها الله تعالى الى فرد يختاره ويجعله وسيطاً يتلقى الوحي منه و ينشره بين قومه، واذا تمت هذه الفكرة عن النبي تتم عن الامام بنفس الملاك ونفس الحجة، وكما انه اذا صح القول بانه من الممكن ان يغتدي الصبي نبياً وهو في المهد رضيع، صح ذلك في الامام (عليه السلام).

العمر، وان كان مقياساً الناس في الاغلب ولكنه ليس بمقياس عند الله، ليس الاكبر سناً اعظم عند الله دائماً، فلرب شيخ بغيض عند ربه ولرب شاب او طفل محبوب عند بارئه. العمل الصالح والنية الطيبة والامكانيات الموهوبة وما الى ذلك مما يهب الفرد قيمة وتقديراً هو المقياس الاول عند الاسلام وفي منطق القرآن. اضف الى ذلك ان القول بالنبوة والامامة لايمكن الا بعد الايمان الكامل بقدرة الله تعالى على ان يجعل من فرد واحد مجمعاً للفضائل، ومرجعاً للمعارف، وقدوة للناس واسوة للخلق، فالاعتقاد بالنبوة يفرض على الانسان الايمان بالمعجزة (والتي هي مايتعدى طاقة الانسان) وله ميزة على سائر البشر حتى يمكنه ان يقودهم و يقول لهم انني نذير من الله.

واذا كانت المعجزة تعني شيئاً خارجاً عن الطبيعة الجاريه في سائر الخلق، فلا فرق بين ان يكون الفرد الذي تتجلى فيه المعجزة كبيراً او صغيراً، غنياً او فقيراً.

وطالما زعمت الامم السالفة: ان النبي يجب ان يكون له مال وثراء عريض و يكون سيداً في قومه ورئيساً مهيباً، فافهمهم انبياؤهم (عليهم السلام) بان الله اذا اراد ان ينزل رحمته في فرد لا تتوفر فيه هذه الشروط ويجعله نبياً، فهل في ذلك من بأس؟ قال تعالى:

[أهم يقسمون رحمة ربك، نحن قسمنا بينهم معيشتهم](١)

---

(١) الزخرف/٣٢

ولطالما اعجبت الامم ودهشت حينما رأت ان الله قد بعث اليها صبياً نبياً، ولكن ربنا ابرز لهم ان فعله ذلك انما كان تعمداً ليعرفهم معنى النبوة، وانها ليست موهبة عادية تبرز في فرد دون فرد، تبعاً للبيئة والتربية، وانما هو نبوء عن عادة الخلق، وخرق لسنة الكون، ونداء جديد ليس يشابهه نداء المخلوقات، بان الله هو القادر وان اليه المصير، يقول علي بن اسباط في حديث له عن الامامة: رايت ابا جعفر الجواد(عليه السلام) قد خرج اليّ فاحددت النظر اليه، والى راسه والى رجله لأصف قامته لاصحابنا بمصر فخر ساجداً، وقال ان الله احتج في الامامة بمثل ما احتج في النبوة، قال تعالى:

[وآتيناه الحكم صبياً](١)

وقال الله سبحانه وتعالى:

[ولما بلغ اشده](٢)

وقال:

[وبلغ اربعين سنة](٣)

فقد يجوز ان يؤتى الحكمة وهو صبي ويجوز ان يؤتى وهو ابن اربعين سنة(٤).

---

(٢) مريم/١٣
(٣) يوسف/٢٢
(٤) الاحقاف/١٥
(٥) بحار الانوار ـ ط ٢ ج ٥٠ ص ٢٤ ـ ٣٧

اجل اذا كانت النبوة معجزة الله، او كانت آية الابتداع فسواء ـ اذاً ـ تظهر في كبير أو صغير.

عن بعض الرواة انه قال:

كنت واقفاً عند ابي الحسن الرضا (عليه السلام) بخراسان فقال قائل ياسيدي.. ان كان كوْن فالى من؟ (يريد: اذا متَّ فمن الامام بعدك؟)

قال: الى ابي جعفر ابني.. وكأن القائل استصغر سن ابي جعفر.

فقال ابو الحسن (عليه السلام): ان الله سبحانه بعث عيسى رسولاً نبياً صاحب شريعة مبتدئة في اصغر من السن الذي فيه ابو جعفر (عليه السلام)(١).

نعم: ليس هناك اي استبعاد لما يشاؤه الله و يفعله، فقد يجعل عيسى نبياً في اول صباه.. و يهب محمد بن علي الامامة صبياً ايضاً.

كان للامام ابي عبد الله الصادق (عليه السلام) ولد كان يدعى علي بن جعفر وكان وجيهاً محترماً لدى الشيعة الامامية، وكان يفد اليه الناس، و ينهلون من علومه التي تلقاها مباشرة عن ابيه الصادق (عليه السلام).. واخيه موسى بن جعفر (عليه السلام)... فيروي بعض المحدثين: انه كنت عند علي بن جعفر بن محمد (عليه السلام) جالساً بالمدينة، وكنت اقمت عنده سنتين اكتب عنه ماسمعه من اخيه يعني موسى بن جعفر (عليه السلام) اذ دخل عليه

---

(١) بحار الانوار ج ٥٠ ص ٢٤ ـ ٣٧

ابو جعفر محمد بن علي بن موسى (عليه السلام) المسجد ـ مسجد رسول الله (ص) ـ

فوثب علي بن جعفر بلا رداء ولا حذاء، فقبل يده وعظمه، فقال له ابو جعفر (ع): ياعم اجلس رحمك الله.

قال: ياسيدي كيف اجلس وانت قائم.

فلما رجع علي بن جعفر الى مجلسه جعل اصحابه يوبخونه و يقولون انت عم ابيه وانت تفعل هذا الفعل؟

فقال: اسكتوا، اذا كان الله عزوجل ـ وقبض على لحيته ـ لم يؤهل هذه الشيبة واهل هذا الفتى و وضعه حيث وضعه، أنكر فضله! نعوذ بالله مما تقولون بل انا له عبد(١).

• بعد وفاة والده:

توفى الامام الرضا في خراسان مسموماً ودفن في طوس واختلفت ـ بسبب فوته ـ الامة الاسلامية، وفقدت الامة ملاحمها التي كانت قد ميزت بها في عهد الرضا (ع).. فرجعت الخلافة الى بغداد.. وقرّب المأمون العباسي من يريد.

وغدر بمن كان قد نصره على اخيه الامين في نزع الملك عنه، وغير شعاره

---

(١) الكافي ج ١ ص ٣٢٢

الذي اتخذه للثورة التي كانت نصف علوية، ورجع الى لبس السواد، فاصبحت الدولة دولة عباسية مرة اخرى.

مرة كان الامام يسير في طرقات بغداد العاصمة المزدحمة ولقد اصطف الناس لابن الرضا(ع)، رافعين اعناقهم كي يفوزوا بنظرة منه.. وكان من الواقفين رجل زيدي المذهب، يحدثنا فيقول:

خرجت الى بغداد فبينما انا بها، إذ رايت الناس يتدافعون و يتشرفون و يقفون، فقلت:

ماهذا؟.. فقالوا ابن الرضا(ع)، فقلت: والله لانظرن اليه فطلع على بغل او بغلة، فقلت لعن الله اصحاب الامامة حيث يقولون ان الله افترض طاعة هذا، فعدل اليّ وقال:

باقاسم ابن عبد الرحمن:

[فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه!! إنا اذاً لفي ضلالٍ وسُعُر](١).

فقلت في نفسي: «ساحر والله».

فعمد اليّ فقال:

---

(١) القمر/٢٤

[أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب اشر](١).

قال: فانصرفت وقلت بالامامة وشهدت انه حجة الله على خلقه واعتقدت به.اجل... ان الاستغراب الذي غمر قلب هذا الرجل من جهة صغر السن كان جوابه. في هاتين الايتين المباركتين واضحاً مستبيناً.

وكان الامام الجواد(ع) رابضاً بالمدينة وهو الفتى الحديث في السن، المقدر عند الله والخلق، قد اعطت الشيعة وهي يومذاك كثرة لايستهان بها، ازمتها بيده فنهض بتدبيرها خير نهوض، حتى التفت حوله طائفة من اصحاب ابيه وجده.

• في المدينة:

و بقي في المدينة المنورة بعد عهد امامته زهاء (٨) اعوام، يحترمه الخاص والعام و يأوي اليه البعيد والقريب، يسألون عما اغمض واشكل فيحل لهم في اسرع وقت.

يقول بعض الرواة: لما مات ابو الحسن الرضا(ع) حججنا فدخلنا على ابي جعفر ــ وقد حضر من الشيعة من كل بلد لينظروا الى ابي جعفر(ع) فدخل

(١) القمر ٢٥

عمه عبد الله بن موسى وكان شيخاً كبيراً نبيلاً، عليه ثياب خشنة و بين عينيه سجادة.

فجلس وخرج ابو جعفر(ع) من الحجرة وعليه قميص قصب ورداء قصب ونعل خوص بيضاء، فقام عبد الله ــ عمه ــ واستقبله وقبل بين عينيه وقامت الشيعة، وقعد ابو جعفر(ع) على كرسي ونظر الناس بعضهم الى بعض تحيراً لصغر سنه.

فانتدب رجل من القوم فقال لعمه: اصلحك الله ماتقول في رجل اتى بهيمة(١): فقال تقطع يمينه و يقام عليه الحد.

فغضب ابو جعفر(ع) وقال: ياعم اتق الله ــ اتق الله ــ انه لعظيم ان تقف يوم القيامة بين يدي الله عز وجل لما افتيت الناس بما لا تعلم، فقال له عمه: ياسيدي أليس قال هذا ابوك(ع)؟

فقال ابو جعفر(ع): انما سُئِل ابي عن رجل نبش قبر امرأة فنكحها، فقال ابي: تقطع يمينه للنبش و يضرب حد الزنا فان حرمة الميتة كحرمة الحية فقال: صدقت ياسيدي انا استغفر الله فتعجب الناس، فقالوا له ياسيدنا أتأذن ان نسألك؟

فقال: نعم، فسألوه في مجلس عن ثلاثين الف مسألة فاجابهم فيها وله تسع

---

(١) اي باشر ووطيء بهيمة.

سنين(١).

وهذه القصة تبين مدى اهمية الامام في عين الشيعة ثم غزارة علمه وطول باعه وسعة ثقافته التي نبعت عن قلب نفخ فيه الله علمه ومعرفته واكثر فيه تقواه وخشيته.

● الى بغداد:

وحينما انتقل المأمون العباسي الى بغداد، وكان يعيش في صراع دائم مع العباسيين الذين استنكروا عليه لما صنع بالرضا(ع) من اعطائه ولاية العهد اياه، مذكرين له ان هؤلاء بني فاطمة هم المناوئون الذين يخشى جانبهم اكثر من اي مناويء اخر لان لهم انصاراً وموالين في شرق البلاد وغربها.

وكان المأمون يبرر موقفه من علي بن موسى بنقل فضائله التي عجزت شفاه المأمون وغيره عن ان تحصيها عداً قائلاً: بان اهل هذا البيت قد ورثوا العلم من ابائهم كما ورثوا المكارم والخلق الرفيع.

---

(١) من المحتمل ان يكون عمره ثمان سنوات فقط كما هو مذكور في بعض الاحاديث حيث ان الذي يبدو من هذا الحديث: ان الشيعة كانت قد اجتمعت بالمدينة في الموسم بعد وفاة الامام الرضا مباشرة... وكان للامام الجواد(ع)، (٧) سنين حين موته في اخر شهر صفر، فلما انقضت سبعة اشهر جاء شهر رمضان ودخل الجواد في الثامنة، وفي موسم الحج من تلك السنة كانت هذه المحاورة كما وان من الممكن كون الاسئلة وجهت الى الامام في ايام متعددة مع وحدة المجلس فيكون مجلسه اشبه بالمؤتمرات التي تطول اياماً تباعاً يقضونها بالبحث باستثناء اوقات الراحة والطعام.

وكانت الشيعة يومئذ قد قويت شوكتهم بالامام الرضا واصبح لهم دعاة مخلصون في كل زاوية من البلاد الاسلامية ومالت اليهم العامة لما ظهر من الامام الرضا(ع) في المسرح السياسي من آيات الفضل والكمال.

ثم انه ذهبت دعوتهم الى امامة بني فاطمة تنتشر اكثر من اي يوم آخر، لان كثيراً منهم نالوا المناصب الرفيعة في الدولة وقاموا بحركات ايجابية دائمة بسبب الاختلاف الذي وقع بين العباسيين.. وعرفت السلطة طوائف كثيرة من العباسيين انفسهم يكيدون الدولة و يريدون لانفسهم السلطان فاضطرت الى استخدام مناويء هؤلاء، من الشيعة.

هذا من جانب ومن جانب اخر كانت موجة من الاستياء العام تمثل العامة بسبب قتل المأمون للرضا(ع)،وتغطية لغدره بالرضا(ع) واحتجاجاً على الخاصة من العباسيين.. واستمالة لفؤاد العامة من غيرهم، ارسل المأمون الى المدينة يطلب الامام الجواد(ع) في دعوة رسمية..

كان ذلك في السنة (٢١١) هجرية حيث كان لابي جعفر الجواد من العمر زهاء (١٦) سنة فقط.

ومما يبدو من التاريخ: ان وفود الامام(ع) كان حافلاً بالاحتفاء الملوكي... الذي هيأه الخليفة لمقدم موفوده المبارك.

وكان الناس يبشرون انفسهم بابن الرضا(ع) الذي طالما تشوقوا الى رؤيته والمثول عنده.

واستقبله المأمون استقبالا حافلا، ونوى ان يزوجه ابنته ام الفضل، كما زوج اباه الرضا(ع) ابنته ام حبيب.

فاعترضه العباسيون اعتراضاً شديداً، خوفاً من انتقال الخلافة الى بني فاطمة.

فاجتمع من اهل بيته الادنون وقالوا له: نناشدك الله ياامير المؤمنين الا تقدم على هذا الامر الذي عزمت من تزويج ابن الرضا(ع)، فانا نخاف ان يخرج به عنا امر قد ملكنا الله عز وجل و ينزع منا عزاً قد البسناه الله وقد عرفت ما بيننا و بين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً، وقد كنا في خشية من عملك مع الرضا(ع)، فكفانا الله المهم في ذلك، فالله ان تردنا الى غم قد انحسر عنا.

فقال لهم المأمون: اما مابينكم و بين ال ابي طالب فانتم السبب فيه ولو انصفتم القوم لكان اولى بكم، واما ماكان يفعله مَن قبلي بهم فقد كان قاطعاً للرحم، واعوذ بالله من ذلك، والله ماندمت على ماكان مني من استخلاف الرضا(ع).. ولقد سألته ان يقوم بالامر وانزعه من نفسي فابى وكان امر الله قدراً مقدوراً!!

واما ابو جعفر محمد بن علي فقد اخترته لتفوُّقه على أهل الفضل كافة في العلم والثقافة مع صغر سنه.

وانا ارجو ان يظهر للناس ماقد عرفته منه فعلمون ان الراي مارايت فيه.

فقالوا: ان هذا الفتى وان راقك منه هديه فانه صبي لامعرفة له ولا فقه،

فامهله ليتادَّب ثم اصنع ماتراه بعد ذلك.

فقال لهم: ويحكم اني اعرف بهذا الفتى منكم، وان اهل هذا البيت علمهم من الله تعالى لم يزل اباؤه أغنياء في علم الدين والادب عن الرعايا الناقصة فان شئتم فامتحنوا ابا جعفر بما يثبت لكم به ذلك

قالوا: قد رضينا بذلك فخلّ بيننا و بينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شيء، من فقه الشريعة فان اصاب لم يكن لنا اعتراض، وظهر للخاصة والعامة سديد راي امير المؤمنين فيه، فان عجز عن ذلك فقد كفينا الخطب منه، فرضي المأمون بذلك، فاجتمع رايهم على يحيى بن اكثم قاضي قضاة الديار الاسلامية في ذلك العهد ان يسأل الامام الجواد(ع) عن المسائل الغامضة في الفقه الاسلامي، وحان الموعد واجتمع الناس، وجاء الامام الجواد(ع) وحضر ابن اكثم، وجلس يحيى بين يديه والمأمون بجانب الامام يهيمن على المجلس، فالتفت ابن اكثم الى الخليفة وقال:

يأذن لي امير المؤمنين ان اسأل ابا جعفر عن مسألة؟ فقال المأمون استأذنه في ذلك، فاقبل عليه يحيى قائلا: جعلت فداك، تأذن لي في مسألة؟ قال أبو جعفر(ع): سل ماشئت.

قال يحيى: ماتقول ــ جعلت فداك ــ في محرم قتل صيداً؟

فقال ابو جعفر: قتله في حل او حرم؟

□ عالماً كان المحرم أو جاهلاً؟

□ قتله عمداً أو خطأ؟

□ حراً كان المحرم او عبداً؟

□ صغيراً كان او كبيراً؟

□ مبتدئاً بالقتل او معيداً؟

□ من ذوات الطير كان الصيد أو من غيرها؟

□ من صغار الصيد ام من كبارها؟

□ مصراً على مافعل أو نادماً؟

□ في الليل كان قتله للصيد ام في النهار؟

□ محرماً كان بالعمرة اذ قتله ام بالحج كان محرماً؟ (١).

---

(١) في هذه الفقرات التالية تبدو بطولة العلمية التي تظهر في مدى استطاعته على التشقيق.

وقديماً قالوا: تشقيق السؤال نصف الجواب، بالاضافة الى بديهة الخاطر، والذكاء النادر الذي يحيط بجميع جوانب المسألة، وكل سؤال ثنائي للامام (ع) يضرب في السؤال السابق عليه ويضرب فيه السؤال اللاحق به، لان السؤال يكون على هذا الوجه، لو كان القتل في الحلّ فهو على قسمين، اما ان يكون المحرم عالماً او جاهلاً، كما ان القتل في الحرم ينقسم بدوره الى قسمين: اما ان يكن المحرم عالماً أو جاهلاً، وهكذا دواليك.

فتحير يحيى بن اكثم و بان في وجهه العجز والانقطاع والجلج حتى عرف الحاضرون امره، فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي، ثم توجه الى اهل بيته، فقال لهم: أعرفتم الان ما كنتم تنكرونه؟ ثم اقبل على ابي جعفر(ع) فقال له: اتخطب يا ابا جعفر؟ فقال: نعم يا امير المؤمنين، فقال له المأمون: اخطب لنفسك جعلت فداك، قد رضيتك لنفسي وانا مزوجك ام الفضل ابنتي، وان رغم قوم لذلك.

فقال ابو جعفر: الحمد لله اقراراً بنعمته ولا اله الا الله اخلاصاً لوحدانيته وصلى الله على محمد سيد بريته والاصفياء من عترته... اما بعد: فقد كان من فضل الله على الانام ان اغناهم بالحلال عن الحرام، فقال سبحانه:

[وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم](١)

ثم ان محمد بن علي بن موسى يخطب ام الفضل بن عبدالله المأمون، وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت محمد(ص)، وهو خمسمائة درهم جياداً، فهل زوجته يا امير المؤمنين بها على هذا الصداق المذكور؟

فقال المأمون: نعم قد زوجتك يا ابا جعفر ام الفضل ابنتي على الصداق المذكور، فهل قبلت النكاح، قال ابو جعفر(ع): قد قبلت ذلك ورضيت به.

---

(١) النور/٣٢

• حفلة الزواج:

قال المحدث: ولم نلبث ان سمعنا اصواتا تشبه اصوات الملاحين في محاوراتهم، فاذا الخدم يجرون سفينة مصنوعة من فضة مشدودة بالحبال من الابريسم على عجلة مملوءة من الغالية (قسم من العطر)، فامر المأمون ان تخضب لحاء الخاصة من تلك الغالية، ثم مدت الى الدار العامة فتطيبوا منها و وضعت الموائد فأكل الناس وخرجت الجوائز الى كل قوم على قدرهم، فلما تفرق الناس و بقي بعض الخاصة، قال المأمون لابي جعفر(ع): ان رأيت جعلت فداك إن نذكر الفقه الذي فصلته من وجوه من قتل الصيد، فقال ابوجعفر(ع):

نعم، ان المحرم اذا قتل صيداً في الحل وكان الصيد من ذوات الطير، وكان من كبارها فعليه شاة، فان اصابه في الحرم فعليه جزاء الضعف، واذا قتل فرخاً في الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن، واذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ، فاذا كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة، وان كان نعلماً فعليه بدنة، وان كان ظبياً فعليه شاة، وان كان قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه جزاءآمضاعفاً هدياً بالغ الكعبة، واذا اصاب المحرم مايجب عليه الهدي فيه وكان احرامه بالحج نحره بمنى، وان كان احرامه بالعمرة نحره بمكة، وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء وفي العمد عليه المأثم، وهو موضوع عنه في الخطأ والكفارة على الحر في نفسه، وعلى السيد في عبده، والصغير لا كفارة عليه، وهي على الكبير واجبة، والنادم يسقط بندمه عنه عقاب الاخرة، والمصر يجب عليه العقاب في الاخرة.

فقال المأمون: احسنت ياأباجعفر، احسن الله اليك، فان رايت ان تسأل يحيى عن مسألة كما سألك، فقال ابو جعفر(ع) ليحيى: أسألك؟ قال: ذلك اليك ــ جعلت فداك ــ فان عرفت جواب ماتسألني عنه، والا استفدته منك، فقال له ابو جعفر(ع): اخبرني عن رجل نظر الى امرأة في اول النهار، فكان نظره اليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار حلت له، فلما زالت الشمس حرمت عليه، فلما كان وقت العصر حلت له، فلما غربت الشمس حرمت عليه، فلما دخل وقت العشاء الآخرة حلت له، فلما كان وقت انتصاف الليل حرمت عليه، فلما طلع الفجر حلت له، فما حال هذه المرأة، وبماذا حلت له وحرمت عليه؟

فقال له يحيى: لا والله لااهتدي الى جواب هذا السؤال، ولااعرف الوجه فيه، فان رايتك ان تفيدنا.

فقال ابو جعفر: هذه أمة لرجل من الناس نظر اليها اجنبي في اول النهار فكان نظره اليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلت له، فلما كان عند الظهر اعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الاخرة كفّر عن الظهار فحلت له، فلما كان نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه، فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له.

فاقبل المأمون على من حضره من اهل بيته فقال لهم: هل فيكم من يجيب هذه المسألة بمثل هذا الجواب او يعرف القول فيما تقدم من السؤال؟

قالوا: لاوالله، ان امير المؤمنين اعلم، وما رأى.

فقال: ويحكم، ان اهل هذا البيت خصوا من الخلق بما ترون من الفضل، وان صغر السن فيهم، لايمنعهم من الكمال، اما علمتم ان رسول الله (ص) افتتح دعوته بدعاء اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب (ع) وهو ابن عشر سنين، وقبل منه الاسلام، وحكم له به، ولم يدع احداً في سنه غيره، و بايع الحسن والحسين (ع) وهما ابنا دون الست سنين، ولم يبايع صبيا غيرهما. أولا تعلمون مااختص الله به هؤلاء القوم؟ وانهم ذرية بعضها من بعض يجري لاخرهم مايجري لأولهم.

فقالوا: صدقت ياامير المؤمنين، ثم نهض القوم.

• الجوائز:

فلما كان من الغد احضر الناس، وحضر ابو جعفر (ع)، وسار القواد والحجاب والخاصة والعمال لتهنئة المأمون وابي جعفر (ع)، فاخرجت ثلاثة اطباق من الفضة فيها بنادق(١) مسك زعفران معجون، في اجواف تلك البنادق رقاع مكتوبة باموال جزيلة وعطايا سنية واقطاعات(٢) فامر المأمون بنثرها على القوم من خاصته، فكان كل من وقعت في يده بندقة اخرج الرقعة التي فيها،

(١) جمع بندقة، وهي شيء مدور يشبه الجوز.

(٢) كان الملوك يهبون لبعض الافراد قطعاً كبيرة من الاراضي الاميرية، فكانت تسمى اقطاعاً.

والتمسه فاطلق يده له.

ووضعت البدر، فنثرت مافيها على القواد وغيرهم (من كبار الموظفين)، وانصرف الناس وهم اغنياء بالجوائز والعطايا، وتقدم المأمون بالصدقة على المساكين كافة، ولم يزل مكرماً لابي جفعر(ع)، معظماً لقدره مدة حياته، يؤثره على ولده وجماعة اهل بيته(١).

وحينما تم زواج الامام بابنة المأمون، و بقي في بغداد مدة غير قليلة ناعماً مرفهاً يراوده المسلمون، فينهلون من فيضه، و يستفون غمائمه، ماتغنيهم وترويهم، بيد انه لم يكن يرضيه التنعم في قصور العباسيين تاركاً امور الشيعة والمسلمين الدينية وراءه ظهرياً، وكما يبدو انه ان لم يكن قد اكرهته الظروف بالمقام في بغداد، لما أقام فيها الا قليلاً.

يروي بعض اصحابه فيقول: دخلت عليه في بغداد ففكرت فيما به من نعم، وقلت في نفسي ان هذا الرجل لايرجع الى موطنه ابداً، فاطرق رأسه ثم رفعه وقد اصفر لونه، فقال: ياحسين خبز شعير وملح جريش في حرم رسول الله احب الي مما تراني فيه(٢).

● الى المدينة من جديد:

وسار الى المدينة عن طريق الكوفة، فلما ان ورد الكوفة اجتمع اليه

---

(١) الاحتجاج ص ٢٢٧ــ٢٢٩ وبحار الانوار ج ٥٠ ط ٢ ص ٧٣ــ٧٧

(٢) مختار الخرائج والجرائح ص ٢٠٨

الشيعة، فاستقبلوه استقبالا حافلا، ثم ودعهم الى مدينة جده، حيث بقي فيها سائر ايام حياته يواصل اداء مسؤولياته الخطيرة التي منها انشاء مدرسة فكرية جامعة حتى توفى المأمون العباسي.

• بعد المأمون:

واوصى المأمون الى اخيه المعتصم العباسي ولبى دعوة ربه فمات في قرية من نواحي طرسوس(١)، التي كانت من الحدود الفاصلة بينالبلاد الاسلامية وبلاد الروم وكانت قد استعلت فيها مناوشات وقد سار اليها الخليفة بنفسه حتى ظفر المسلمون.

واوصى اليه بشان العلويين بصورة خاصة فقال مخاطباً أخاه المعتصم: هؤلاء بنو عمك من ولد امير المؤمنين علي(ع) فاحسن صحبتهم وتجاوز عن مسيئهم واقبل عليهم ولا تترك صِلاتهم في كل سنة عن محلها فان حقوقهم تجب من وجوه شتى.

في اواخر الصيف، ليلة الثاني عشر من رجب سنة ٢١٨هـ توفى المأمون العباسي ودفن في ضاحية طرسوس، فاخذ المعتصم ازمة الحكم، وراح يثبت حكمه بكل قدر مستطاع ففكر في ان الامام الجواد وهو صهر الخليفة الراحل وسيد الشيعة وهم قوة جبارة في الامة، انه قد يمكن ان يشكل خطراً ما على

(١) قرية في تركيا من اعمال انطاكية في آسيا الصغرى.

الدولة فاشخصه من المدينة الى بغداد، لالشيء الا لكي يكون الامام تحت مراقبته الشخصية، ونزح الامام للمرة الثانية الى بغداد و بقي فيها مبتعداً عن السياسة وعن البلاد الملكي مشتغلا بالشؤون العامة وذلك في الفترة مابين (٢٨ محرم الحرام سنة ٢٢٠هـ و ٢٩ ذي القعدة الحرام من نفس السنة) حيث وافته المنية بسم دس اليه من قبل السلطة باشارة من الخليفة المعتصم بالله وقصة ذلك حسب ماروها المؤلف القدير العياشي عن خادم ابن ابي دواد وصاحب سره الذي كان يسمى (ونان) وابن ابي داود هذا كان قاضياً شهيراً في بغداد قال: رجع ابن ابي داود ذات يوم من عند المعتصم وهو مغموم فقلت له فيما ذاك، قال: لِما كان اليوم من هذا الاسود «اي ابي جعفر الجواد (ع)» بين يدي امير المؤمنين، قال قلت وكيف ذاك؟ قال: ان سارقاً اقر على نفسه بالسرقة وسأل الخليفة تطهيره فجمع في ذلك الفقهاء وقد احضر محمد بن علي (ع) فسألنا عن القطع في اي موضع؟ فقلت من الكرسوع (اي المفصل بين الكف والذراع)، قال: وما الحجة في ذلك؟ قلت: لان اليد من الاصابع الى الكرسوع لقوله تعالى في التيمم: [فأمسحوا بوجوهكم وايديكم منه].

واتفق معي على ذلك جماعة، وقال اخرون بل يجب القطع من المرفق لان الله تعالى يقول في الوضوء: (وايديكم الى المرافق) فدلّ على ان اليد من المرفق، فالتفت المعتصم الى محمد بن علي (ع) وقال: ماتقول انت ياابا جعفر؟ فقال (ع): قد تكلم فيه القوم ياامير المؤمنين، قال: دعني عما تكلموا به، اي شيء عندك؟ قال: اعفني عن هذا ياامير المؤمنين، قال: اقسمت عليك بالله تعالى لما اخبرت بما عندك فيه، فقال: اما اذا اقسمت علي بالله فاني اقول انهم

اخطأوا فيه السنة، فان القطع يجب ان يكون من مفصل اصول الاصابع فيترك الكف. فقال: فما الحجة في ذلك؟

قال: قول رسول الله (ص) السجود على سبعة اعضاء الوجه واليدين والركبتين والرجلين، فاذا قعطت يده من الكرسوع او المرفق لم يبق له يد يسجد عليها وقد قال الله عزوجل: (وان المساجد لله) يعني بهذا الاعضاء السبعة التي يسجد عليها وما كان لله لم يقطع.

قال: فاعجب المعتصم ذلك وامر بقطع يد السارق من مفصل الاصابع دون الكف.

(قال ابن ابي داود) فقامت قيامتي وتمنيت اني لم أكُ حياً، (قال): ثم صرت الى المعتصم بعد ثلاث وقلت ان نصيحةامير المؤمنين واجبة وانا اكلمه بما اعلم اني ادخل النار به، قال وما هو؟ قلت اذا جمع اميرالمؤمنين في مجلسه فقهاء رعيته وعلمائهم لامر وقع من امور الدين وسألهم عن الحكم فيه فاخبروه بما عندهم، وقد حضر مجلسه قُوّاده ووزرائه وكتابه، وقد تسامع الناس ذلك من وراء بابه، ثم يترك اقاو يلهم كلهم، لقول رجل يقول شطر هذه الامة بامامته، و يدّعون انه أولى منه بمقامه، ثم يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء!! (قال) فتغير لونه وتنبه لما نبهته له،قال: جزاك الله عن نصيحتك خيراً.قال:فامر في اليوم الرابع فلاناً ـ بالطبع، ذكر اسماً حذفه بعض المؤلفين او الرواة ـ من كتّاب وزرائه، ان يدعو الجواد(ع) الى منزله فدعاه فابى ان يجيبه وقال:لقد علمت اني لا احضر مجالسكم، فقال: انما ادعوك الى الطعام واجب ان تطأ ثيابي وتدخل منزلي فاتبرك بذلك، فقد احب فلان بن فلان من وزراء الخليفة

لقاءك فصار اليه (ودسّ اليه السم في الطعام) فلما طعم (ع) احسن بالسم، فدعى بدابته فسأله رب المنزل ان يقيم، فقال: خروجي من منزلك خير لك فلم يزل يومه ذاك وليلته يجود بنفسه، والسم يسري في بدنه حتى قبض(ع).

أيه امام الحق، هذا جزاؤك بعد كل هذا انك لم ترم لهم الا الخير، ولم يبغوا لك الا الشر فسقيا لك ورعيا، وتعساً لهم وويلا، غدرٌ والله ومكرٌ والله ان يطعموك السم وانت في ربيع ايامك، ولكن لك في الاولين من ابائك اسوة حسنة، ولهم في الاولين من ابائهم اسوة سيئة فعليك السلام وعليهم اللعنة والعذاب.

نعم، انطفأ ذلك المشعل الوهاج وخلف وراءه الامة الاسلامية تجرّ حسراتها وتندبه كما الارض تنتدب بعد مغيب الشمس.

لقد كان الامام الجواد(ع) احدث الائمة الاثني عشر سناً باستثناء الامام الحجة(ع) حين انتقلت اليه الخلافة الروحية في اخر صفر من سنة ٢٠٢ــ وهو ابن سبع وكان احدثهم سناً على الاطلاق فحينما استشهد في اخر (ذي القعدة سنة ٢٠٠ من الهجرة) وكان عمره انذاك ٢٥ ربيعاً كما كانت مدة امامته ١٨ سنة.

وضجت بغداد بوفاة ابن الرضا(ع) وذهبت الشكوك تحوم حول البلاط وكادت تتفجر ثورة عارمة على الحكم الجائر، وصلى عليه ابن المعتصم وولي عهده الواثق بالله كما صلى عليه نجله الكريم الامام علي ابن محمد النقي(ع) ودفن في مرقده في الكاظمية حيث لايزال يُقصد و يُزار فعلى محمد بن علي

الجواد(ع) التحية والسلام.

وجاء في بعض الاحاديث عن وفاته عليه السلام ان المعتصم دعى بعض وزرائه وامرهم بان يشهدوا على محمد بن علي الجواد(ع) بانه قد اراد ان يخرج عليه بثورة يفجرها مع تابعيه من الشيعة الامامية ذلك لكي يسهل عليه أن يلقي به في السجن او يقتله قتلا.

فلما احضر الامام التفت المعتصم اليه قائلا: انك اردت ان تخرج عليّ، فقال الامام: والله مافعلت شيئاً من ذلك، قال: ان فلاناً وفلاناً شهدوا عليك، فاحضروا فقالوا: نعم هذه الكتب اخذناها من بعض غلمانك قال: وكان جالساً في بهو (قاعة في مقدم الدار) فرفع ابو جعفر يده وقال: اللهم ان كانوا كذبوا عليّ فخذهم.

قال الراوي: فنظرنا الى ذلك البهو كيف يرجف و يذهب ويجيء وكلما قام واحدٌ وقع.

فقال المعتصم: يابن رسول الله اني تائب مما فعلت فادع ربك ان يسكنه فقال: اللهم سكنه انك تعلم انهم اعداؤك واعدائي فسكن(١).

(١) مختار الخرائج والجرائح ص ٢٣٧

• الفصل الثالث

الامام وعصره

• الامام وعصره *

عاصر الامام محمد بن علي الجواد (ع)، خليفتين عباسيين.

والخليفة الذي عاش الامام في عهده ظروفاً هادئة، هو المأمون العباسي.

ومعروف أن المأمون قام بالتقرب الى العلويين والى سيدهم الامام علي بن موسى الرضا (ع)، بسبب الضغط الجماهيري الذي تعرض له النظام العباسي حيث تميز عهده بسلسلة من الثورات والانتفاضات في كافة ارجاء الدولة الاسلامية.

---

* اقتبسنا هذا الفصل من كتاب التاريخ الاسلامي للمؤلف ص ٣٤٣ وص ٣٤٨ ـ ٣٥٥

و يقول بعض المؤرخين: ان المأمون العباسي كان شيعياً، وكان يذهب الى احقية اولاد الامام علي(ع) بالخلافة، والى امامة الامام علي(ع)، ولكننا من جانبنا لا نرى ذلك في المأمون العباسي لان ذلك شرف لا يستحقه خليفة غاصب.

يبقى ان نعرف انه بعد استشهاد الامام الرضا(ع) على يد المأمون، اصبح محمد بن علي الجواد(ع) الامام الشرعي للرساليين، ومعروف ان الامام الجواد(ع) صاهر المأمون العباسي.

• لماذا صاهر الامام الخليفة؟

ونتساءل لماذا اقدم الامام الجواد(ع) على الزواج من بنت المأمون العباسي؟

ولكي نعرف الاجابة عن مثل هذا السؤال لابد ان نلقي نظرة على الحركة الرسالية التي كان الائمة عليهم السلام يقودونها ومرحلتها في عصر الامام الرضا وجله الامام الجواد عليهما السلام.

في عهد المأمون تحولت الحركة الرسالية الى حركة تستطيع ان تتداخل مع النظام وتستفيد من مظلته او حتى تكوّن مايسمى اليوم بحكومة ائتلافية، مع اي دولة من الدول، والائمة(ع) كانوا يقبلون بالحماية من قبل الدولة بدون ان يفقدوا رسالتهم.

والائمة المعصومون(ع) لم يحلوا حركتهم، اي انهم لم يقبلوا بالخلافة ولم

يشتركوا فيها، والدليل على ذلك موقف الامام الرضا من ولاية العهد حيث قبلها بشرط عدم التدخل في شؤون النظام.

اما الامام الجواد(ع) فحينما خطب ابنة المأمون وتزوجها، اصبح صهر الخليفة واستفاد من ذلك لاجل رسالته فماذا يعني ان يصبح شخص صهراً للخليفة؟

ان من يدخل البلاط يمكن ان يصير والياً على منطقة، او حاكماً على بلد، او قاضي القضاة لااقل، ولكن الامام الجواد لم يفعل شيئاً من ذلك، بل اخذ بيد زوجته وذهب الى المدينة و بقي هناك حتى مات المأمون العباسي في الرقة.

فماذا كسب الامام(ع) من هذه المصاهرة؟

كسب الامام الجواد(ع) بهذا العمل امرين:

اولاً:

قيد المأمون من ان يقوم بعملية اغتياله، وذلك بقبوله الزواج من ابنته.

ثانياً:

جعل مخالب السلطة وانيابها في قفص الحركة الرسالية وذلك ان المأمون ماكان ليجرؤ بعد ذلك على ان يقوم بالفتك برجالات الحركة، ومجموعاتها.

ولقد كان هذاالاسلوب متبعاً في كثير من عصور الأئمة(ع) وخير شاهد على ذلك قصة علي بن يقطين بن موسى البغدادي الذي كان بمثابة

مستشار للخليفة المهدي العباسي، ثم صار في رتبة الوزير لهارون الرشيد، وعندما حصل على هذا المنصب وكان اتجاهه رسالياً، جاء الى الامام الصادق(ع) وقال: «يابن رسول الله انا صرت عوناً لهذا الطاغية» واراد ان يستقيل. ومعروف ان الذي يحصل على هذا المركز ذلك اليوم يسيطر على مرافق اكبر دولة في العالم.

فطلب منه الامام ان يظل في عمله، و يستمر في اداء مهامه الرسالية و يبقى في بلاط هارون، وعاود الطلب من الامام بان **يأذن له** بترك السلطة الا ان الامام لم يأذن له، ولقد كانت اعماله كبيرة بالنسبة للحركة، حتى ان الامام ابا الحسن(ع) قال فيه عندما دخل عليه داود الرقي، في يوم النحر:

(ماعرض في قلبي احد وانا على الموقف الا علي بن يقطين فانه مازال معي وما فارقني حتى فضت)(١)

• عصر المعتصم العباسي:

والامام الجواد(ع) عاصر خليفة من الخلفاء الذين اثروا تاثيراً مباشراً على زوال الدولة العباسية، وهو المعتصم العباسي.

المعتصم العباسي كان ابن امة تركية، فمال الى اخواله فكان يحب جمع

(١) جامع الرواة/ العلامة الاردبيلي (ج١ ص٦٠٩)

الاتراك وشراءهم من ايدي مواليهم، فاجتمع له منهم اربعة آلاف، والبسهم انواع الديباج والمناطق المذهبة والحلي المذهبة وابانهم عن سائر الجنود (١).

ثم وسمهم رتباً قيادية في الجيش حتى انه ثارت ثائرة العسكريين العرب في الجيش، فلقد حاول «عجيف» ان يقلب الحكم على المعتصم ليولي العباس بن المأمون، ولكن هذه المحاولة اخفقت وقتله المعتصم.

والاتراك حينما جاؤوا الى البلاد الاسلامية اخذوا شيئاً فشيئاً يسيطرون على الحكم ويجردون الخلفاء من سلطتهم الحقيقية واخذوا يحدثون الانقلابات العسكرية (كما نسميها الان).

حتى انه وصل بهم الامر انه اذا مال عنهم خليفة عباسي، فانهم كانوا يقتلونه غيلة، ثم ينصبون رجلا اخر من البيت العباسي مكانه، فابتداء من المتوكل الى المستعين الى المهتدي وانتهاء بالمقتدر، كل هؤلاء قتلوا بواسطة القادة العسكريين الاتراك.

وهكذا كانوا يقومون بالخلع والقتل لاي خليفة لم يكن تتجاوب اهواءه مع اهوائهم، وليس ذلك لشيء في تركيبة العنصر التركي، وانما نتيجة للحالة المتردية التي وصل اليها المجتمع الاسلامي من الانحلال والفساد الخلقي الشامل.

---

(١) المسعودي (ج٣ ص٤٦٥)

والامام الجواد(ع) استفاد في الوضع في تغذية الحركات الرسالية التي كانت تضع جنينها للمستقبل، وفي هذا الوقت كانت الثورة التي قام بها محمد بن القاسم بن علي الطالبي تقلق السلطة في هدوء وسكينة.

• نموذج من الثورة العلوية:

لقد كانت ثورة محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن الامام زين العابدين علي بن الحسين(ع) ابرز ثورة في عهد الامام الجواد(ع).

كان محمد بن القاسم جليل القدر اذا ماقرأنا يوميات جهاده.

كانت العامة تلقبه بالصوفي، لانه كان يدمن لبس الصوف الابيض الخشن، وكان من اهل العلم والفقه والدين والزهد.

كان قد ذهب الى (مرو) في مقاطعة خراسان، وكان معه من الكوفيين بضعة رجال، وذلك بعد ان رحل من الكوفة، وكان قبل ذلك قد خرج الى ناحية الرقة، ومعه جماعة من وجوه الزيدية، منهم يحيى بن الحسن بن الفرات، وعبّاد بن يعقوب الرواجني، والزيدية كانت تشكل القاعدة للكثير من الثورات مع انها كانت تقاد بافراد من غير الحركة الزيدية.

روى ابراهيم بن عبد العطار:

(كنا معه، فتفرقنا في الناس ندعوهم اليه، فلم نلبث الا يسيراً حتى

استجاب له اربعون الفاً، واخذنا عليهم البيعة، وكنا انزلناه في رستاق من رساتيق مرو، واهله شيعة كلهم، فاحلوه في قلعة لايبلغها الطير في جبل حريز)(١)

ومرة سمع بكاء في (مرو) فندب احد اصحابه ليرى ماهذا البكاء، فجاءه بخبر ان احد الذين بايعوه قد كان غصب شيئاً من احد الرجال، فاصلح بينهما، فقال محمد لصاحبه ابراهيم: (ياابراهيم: أبمثل هذا ينصر دين الله؟ ثم قال: فرقوا الناس عني حتى ارى رأيي).

فانتخب الجيدين من الذين بايعوه ثم سار بهم، وهذا نموذج من طبيعة الثورات الرسالية اذ انها لم تكن تبيح اية وسيلة في سبيل الوصول الى الهدف، بل مثلما يكون الهدف هو اقامة حكم الله عزوجل، يجب ان تكون الوسيلة ايضاً مرضية من قبل الله تعالى.

وهذا كان يربي المجتمع على عشق المثل العليا، والمباديء السامية، وبعدما نقيّ اصحابه، ساروا الى الطالقان.

ويروي ابراهيم صاحبه:

(ورحل محمد بن القاسم من وقته الى الطالقان، وبينها وبين مرو اربعين فرسخاً، فنزلها وتفرقنا ندعو الناس فاجتمع عليه عالم، وجئنا اليه، فقلنا له: ان

---

(١) المسعودي

أتممت أمرك، وخرجت فنابذت القوم، رجونا ان ينصرك الله، فاذا ظفرت خترت حينئذ من ترضاه من جندك، وان فعلت كما فعلت بمرو «يقصد اختيار الجيدين فقط»، اخذ عبدالله بن طاهر يعقبك، وهكذا اراد صاحبه «ابراهيم» ان يثنيه عن ابعاد الذين ليسوا بملتزمين جيداً عن جيش الثورة، ولكن محمد بن القاسم ابى ذلك، ودخل محمد بن القاسم مع عبدالله بن طاهر في حروب كثيرة وكان يلحق به شر الهزائم).

ومرة هدأت صولات الحرب بينهما فسارع عبدالله بن طاهر بارسال كل جيوشه مقسمة في فرق ضمن خطة ماكره جداً، وقال ابن طاهر لقائده:

(قد جردت لك الف فارس من نقبة عسكري، وامرت ان يحمل معك مائة الف درهم تصرفها فيما تحتاج الى صرفها من امورك، وخذ من خيلي ثلاثة افراس نجيبة معك تنتقل عليها، وخذ بين يديك دليلاً قد رسمته لصحبتك فادفع اليه من المال الف درهم، واحمله على فرس من الثلاثة فليركض بين يديك، فاذا صرت على فرسخ واحد من «نسا»، (وهي المدينة التي يتواجد فيها محمد بن القاسم) فافضض الكتاب، واقرأه واعمل بما فيه ولا تغادر منه حرفاً، ولا تخالف مما رسمته شيئاً واعلم ان لي عيناً في جملة من صحبك يخبرني بانفاسك، فاحذر ثم احذر وانت اعلم).

وهذا يبين مدى خوف ابن طاهر من ان يكون قائده يميل الى صف محمد بن القاسم، فلقد كان ذلك شيئاً طبيعياً لان نفوس الناس كانت مع الحركة الثورية، ولكن السلطات مرة بالتهديد ومرة بالاغراء ومرة بالافساد ومرات باساليبها المختلفة كانت تجلب وتسخر الناس في ضرب الحركة الرسالية، حتى

ان ابن طاهر يقول: جعلت عيوناً عليك يرقبون انفاسك.

فسار قائده الى «نسا» وقبل ان يصل بفرسخ فتح كتاب ابن طاهر واذا فيه الخطة كاملة، والبيت الذي يسكن فيه محمد بن القاسم، وصاحبه ابوتراب، و يأمره فيه ان يستوثقهما بالحديد ، استيثاقاً شديداً، وان ينفذ خاتمه مع خاتم محمد بن القاسم، اول مايظفر به، وقبل ان يعود خطوة واحدة لكي يطمئن، وعلى الذي يرسلهما معه ان يركض بهما ركضاً، ثم يكتب اليه شرح ماحدث.

قال ابن طاهر في اخر الرسالة: (وكن على غاية التحرز والتحفظ والتيقظ من امره حتى تصير به وصاحبه الى حضرتي).

نجحت الخطة وحمل محمد بن القاسم مع صاحبه ابوتراب الى ابن طاهر في نيسابور، فجاء ابن طاهر ليراهما فقال لقائده:

(و يلك باابراهيم «ابن غسان بن الفرج العودي» اما خفت الله في فعلك «يقصد القيود الثقيلة جداً التي وضعها على محمد وصاحبه» أتقيد هذا الرجل الصالح بمثل هذه القيد الثقيل؟

فقال ابراهيم العودي، قائده:

(ايها الامير خوفك أنساني خوف الله و وعدك الذي قدمته الي اذهل عقلي عما سواه)

وكانا يتكلمان من فوق سطح يطل على الغرفة المسجون بها محمد بن

القاسم، في نيسابور.

فقال ابن طاهر: خفف هذا الحديد كله عنه، وقيده بقيد خفيف في حلقته رطل وليكن عموده طويلا، وحلقتاه واسعتين ليخطو فيه، وفي فترة سجن محمد بن القاسم طلب قرآنا يتدارس فيه.

وكان عبد الله بن طاهر يخرج من اصطبله بغالاً عليها القباب ليوهم الناس انه قد اخرجه، ثم يردها حتى استتر بنيسابور سلّة في جوف الليل، وخرج به مع ابراهيم العودي ووافى به الري وقد امره عبد الله بن طاهر ان يفعل به كما فعل هو، يخرج في كل ثلاث ليال ومعه بغل عليه قبة، ومعه جيش حتى يجوز الري بفرسخ، ثم يعود الى ان يمكنه سلّة، ففعل ذلك خوفاً من ان يغلب عليه لكثرة من اجاب محمد بن القاسم بالبيعة له، حتى اخرجه من الري ولم يعلم به احد، ثم اتبعه حتى اورده بغداد على المعتصم.

وقد سمع المعتصم بمسير محمد الى بغداد، فارسل الى طاهر العودي ان انزع العمامة من عليه واجعله حاسراً وانزع رداء قبة البغل ليكون على البغل حاسراً، ثم ادخله بغداد.

وكان يريد بذلك تعذيب محمد نفسياً والحط من كرامته، وقد ازدحم الناس على الطرقات حين ادخال محمد بن القاسم الى بغداد ازدحاماً شديداً، حين ادخل على المعتصم في مجلس اللهو والشراب.

وقيل: وجعلت الفراعنة يحملون على العامة و يرمونهم بالقذر والمعتصم

يضحك، ومحمد بن القاسم يسبح و يستغفر الله ويحرك شفتيه يدعو عليهم، والمعتصم جالس يشرب، ومحمد واقف الى ان انتهى من لعبه فامر بسجنه

وسرعان مادبّر محمد بن القاسم حيلة ذكية للهروب، ثم توارى عن الانظار في بغداد ثم الى واسط، وقد شد وسطه للوهن الذي اصاب فقار ظهره عند عملية هروبه، وظل محمد مختفياً بعد ذلك الى نهاية المعتصم، ثم محمد الواثق، ثم بعض ايام المتوكل، وقيل انه اخذ اليه فحمل الى السجن حتى مات محبسه.

ولكن ماذا فعل خلال فترة تواريه عن الانظار وهي ليست بالفترة القليلة؟ هذا ما اجابت عليه الثورات العديدة التي قامت بعد ذلك في عهد المتوكل، والمستعين وما بعده من الخلفاء، التي لم تدع الخليفة يلعب و يلهو براحة.

وفي واسط سكن محمد بيتاً يعود الى ام ابن عمه، علي ابن الحسن بن علي بن عمر بن الامام زين العابدين (ع) وكانت عجوزاً مقعدة، فلما نظرت اليه وثبت فرحاً وقالت: «محمد والله، فدتك نفسي واهلي، الحمدلله على سلامتك» فقامت على رجلها وما قامت قبل ذلك بسنين.

وقال ابراهيم العودي، قائد جيوش ابن طاهر يصف محمداً:

(ما رأيت قط اشد اجتهاداً منه ولا اعف ولا اكثر ذكراً لله عز وجل مع شدة نفس، واجتماع، ما ظهر من جزع ولا انكسار ولا خضوع في الشدائد التي مرت به، وانهم ما رأوه قط مازحاً ولا هازلاً ولا ضاحكاً الا مرة واحدة فانهم لما انحدروا من عقبة حلوان اراد الركوب، فجاء بعض اصحاب ابراهيم ابن

غسان العودي، فطأطأ له ظهره، حتى ركب في المحمل على البغل، فلما استوى على المحمل قال للذلي على ظهره مازحاً:

(أتاخذ ارزاق بني العباس وتخدم بني علي بن ابي طالب؟ وتبسم)

وقال: عرضوا على محمد بن القاسم كل شيء نفيس من مال وجواهر وغير ذلك، فلم يقبل الا مصحفاً جامعاً كان لابن طاهر فلما قبله، سُر عبد الله بن طاهر بذلك، وانما قبله لانه كان يدرس فيه.

ووجود شخصية ثورية مثل محمد وثورة مثل ثورته تدلان على ان الحركة الرسالية لم تتوقف يوماً ما عن مسيرتها، وانها لايمكن ان تميل عن استقامتها التي كانت معهودة بها، وهاتان ميزتان موجودتان في طول الثورات التي قامت بها الحركة الرسالية.

بجانب وضع السلطة المتأزم ومن عهد الامام الجواد(ع) بدأت مسرة ذات كيفية خاصة للثورات وطبيعتها، ووضع الحركة الرسالية في ايام الامام الجواد كان جيداً، واذا كان احرج وقت مرّ على الحركة الرسالية هو في ايام الامام موسى بن جعفر(ع)، فان احسن الاوقات كانت في عهد الامام الجواد(ع)، وربما لذلك جاء في الحديث المأثور عن ابن اسباط وعبّاد بن اسماعيل:

(انا لعند الرضا(ع) بمنى اذ جيء بابي جعفر(ع) قلنا: هذا المولود المبارك؟ قال: نعم

هذا المولود الذي لم يولد في الاسلام اعظم بركة منه)(١)

وروى ابو يحيى الصنعاني قال: «كنت عند ابي الحسن ــ عليه السلام ــ فجيء بابنه ابي جعفر(ع) وهو صغير فقال:

(هذا المولود الذي لم يولد مولود اعظم على شيعتنا بركة منه)

والبركة التي حصلت للحركة الرسالية بولادة الامام الجواد(ع) ليست في ارتفاع الارهاب والاختناق السياسي عنهم فقط بل وأهم من ذلك في تجذر الرسالة عقيدة وفكراً وسياسة وفقهاً.

(١) البحار ج٥٠ ص٢٣

• الفصل الرابع

خلقه وفضائله

أ ــ الجواد الكريم:

كان يلقب امامنا التاسع بالجواد لما كان يشتهر به من الجود الذي فاض فغمر السهل والجبل كما يغمر الضوء السهول.

واليك قصصاً من جوده:

□ لقد كان برنامجه العملي، كتاب وفد اليه من والده من خراسان وله زهاء ست سنوات ومضمون الكتاب مايلي:

فاسألك بحقي عليك لايكن مدخلك ومخرجك الا من الباب الكبير واذا ركبت فليكن معك ذهب وفضة ثم لايسألك احد الا واعطيته. من سألك من عمومتك أن تبره فلا تعطه اقل من خمسين ديناراً والكثير اليك، ومن سألك

من عماتك فلا تعطها اقل من خمسة وعشرين ديناراً والكثير اليك اني اريد ان يرفعك الله فانفق ولا تخشى من ذي العرش افتقاراً.

□ وروي انه حمل له حمل بز له قيمة كثيرة، فسل في الطريق، فكتب اليه الذي حمله يعرفه الخبر، فوقع بخطه ان انفسنا واموالنا من مواهب اليه الهنيئة وعواريه المستودعة يمتع بما متع منها في سرور وغبط و ياخذ مااخذ منها في أجر وحسبة فمن غلب جزعه على صبره حبط اجره ونعوذ بالله من ذلك(١)

□ ودخل عليه بعض اصحابه الذي كان للامام عليه دين يقول له: جعلت فداك اجعلني من عشرة الاف درهم في حل فاني انفقتها فقال له ابو جعفر(ع) انت في حل، الحديث(٢)

ب ــ زهده وتقواه:

□ ينقل بعض الرواة انه حججت ايام ابي جعفر(ع) وجئت إليه في المدينة فدخلت الدار فاذا ابو جعفر(ع) قائم على دكان لم يكن فُرِشَ له مايقعد عليه فجاء غلام بمصلى فالقاه له فجلس فلما نظرت اليه تهيبته ودهشت فذهبت لاصعد الدكان من غير درجه فاشار الى موضع الدرجة فصعدت وسلمت فرد السلام ومد الي يده فاخذتها وقبلتها ووضعتها على وجهي واقعدني بيده

---

(١) تحف العقول ص٣٣٩

(٢) بحار الانوار ج٥٠ ص ١٠٥

فامسكت بيده مما دخلني من الدهشة فتركها في يدي فلما سكنت خليتها.

□ واستقبل الناس في حفلة اقيمت تكريماً له ايام الحج وقد حضرها من فقهاء العراق ومصر والحجاز جمع غفير استقبلهم بقميصين وعمامة بذؤابتين ونعلين.

□ و ينقل عن ابي هاشم قوله: ان ابا جعفر اعطاني ثلا ثمائة دينار في مرة وامرني ان احملها الى بعض بني عمه وقال: اما انه سيقول لك دلني على من اشتري بها منه متاعاً فدله، قال: فاتيته بالدنانير، فقال لي يا أبا هاشم: دلني على عريف يشتري بها متاعاً ففعلت(١).

□ وعن احد اصحابه الذي كان يدعى: (ابن حديد) قال: خرجت مع جماعة حجاجاً فقطع علينا الطريق فلما دخلت المدينة لقيت ابا جعفر(ع) في بعض الطريق فاتيته الى المنزل فاخبرته بالذي اصابنا فامر لي بكسوة واعطاني دنانير وقال: فرقها على اصحابك على قدر ما ذهب، فقسمتها بينهم فاذا هي على قدر ما ذهب منهم لا اقل ولا اكثر.

□ وقال بعضهم: جئت الى ابي جعفر(ع) يوم عيد فشكوت اليه ضيق المعاش فرفع المصلى واخذ من التراب سبيكة من ذهب فاعطانيها فخرجت بها الى السوق فكانت ستة عشر مثقالاً(٢)

---

(١) بحار الانوار ج٥٠ ص٤١ ط٢

(٢) بحار الانوار ج٥٠ ص٤٩

□ وقال عمر بن الريان: احتال المامون على ابي جعفر(ع)، «أي لكي يهوي به مزالق الفساد فينقص من كرامته وهيبته لدى الناس جميعاً» فاحتال بكل حيلة فلم يمكنه فيه شيء فلما اراد ان يبني عليه ابنته جاء بمائة وصيفة من اجمل ما يكون ودفع الى كل واحدة منهن جاماً فيه جوهر يستقبلن ابا جعفر(ع) اذا قعد في موضع الاختان فلم يلتفت اليهن وكان رجل يقال له مخارق صاحب صوت وعود وضرب، طويل اللحية فدعاه المأمون فقال: ان كان في شيء من امر الدنيا فانا اكفيك امره، فقعد بين يدي ابي جعفر فشهق شهقة اجتمع اليه اهل الدار وجعل يضرب بعوده و يغني فلما فعل ساعة واذا ابو جعفر لا يلتفت اليه، ولا يميناً ولا شمالاً ثم رفع رأسه اليه وقال: اتق الله ياذا العثنون (اي اللحية) فسقط المضراب من يده والعود، فلم ينتفع بيده الى ان مات(١)

□ وجاء بعض اصحاب ابيه، وقد كان حديثاً في السن، وحمل معه شيئاً مما يلعب به الاطفال، فيقول لما جئته ووقفت امامه مسلماً لم يأذن لي بالجلوس فرميت بما كان معي بين يديه فغضب علي وقال ماهذا خلقنا.

ج – علمه وثقافته

لقد سبق عند الحديث عن علم الاوصياء(ع) في كتابي الخاص بحياة الامام جعفر الصادق ناشر علوم آل البيت ومبلغها الشرق والغرب، وسبق بيان معنى علم الاوصياء بالمغيبات ومع ذلك فلا اجد بُدّاً من ان ابحث هاهنا عن

(١) مناقب آل أبي طالب. ج٤. ص٣٩٦

علم الامام الجواد الغزير وثقافته التي نبعت عن قلب ملهم وفؤاد مفعم اقول: لقد كثرت في الاحاديث إنباؤه عليه السلام الناس بما تجري في نفوسهم وبما ياتي عليهم مستقبلا ولايعني ذلك ان الائمة (ع) يعلمون الغيب وانما يعني انهم عليهم السلام متصلون بالله سبحانه وتعالى عن طريق الالهام او عن طريق النبي (ص) فيستقون معارفهم بشكل مباشر بينما يستقي سائر البشر معارفهم عبر الحواس والتجارب مثلاً.

واذا اثبتت التجارب الحديثة وجود الحس السادس عند بعض الافراد سهل علينا ان نعتقد بان شيئاً ما يوجد في بعض الاشخاص الذين يشاء الله لهم ذلك، اضف الى ذلك ان الايمان بقدرة الله واستطاعته على ان يفعل كل شيء دون اي استثناء يحدو بالفرد الى تقبل كل ممكن اذا ثبت ان الله قد اراده.

كان والي مكة والمدينة رجل يدعى (فرج الرغجي)، وكان من المعارضين لآل البيت فقال لابي جعفر (ع) ان شيعتك تدعي انك تعلم كل ماء دجلة ووزنه، وكانا ذلك الوقت واقفين على شاطيء دجلة، فقال (ع): يقدر الله تعالى ان يفوض علم ذلك الى بعوضة من خلقه ام لا؟ يقول قلت نعم يقدر، فقال (ع): انا اكرم على الله تعالى من بعوضة ومن اكثر خلقه.

نعم، ان الغرابة الناشئة عن الشك في قدرة الله لهي اوهى من الشك في ضياء الشمس بل يبقى الريب في محله، اذا كان في الرجل الذي يدعي هذا المنصب الرفيع، فلا يستطيع المرء ان يتقبله الا بعد الفحص والتدقيق، اما في اهل بيت الرسول فسوف لايبقى للشك مجال بعد استفاضة حديث متواتر عن

النبي (ص) في انهم قدوة الخلق وائمتهم، و بعد ان عرفنا ان كل امام كان اعلم اهل زمانه في كل شيء منذ أن تنتقل اليه الخلافة الروحية، كذلك كان النبي وكذلك كان أوصياؤه (ع) من علي الى الحجة (ع).

و يكفيك في الامام الجواد ما سبق من انه سئل في مجلس واحد ثلاثين الف مسألة، فاجاب عنها وهو ابن ثمان او تسع، وانه كان في زهاء السادسة عشرة من عمره اذ حضر مجلس المأمون و باحث مع قاضي القضاة، فافحمه افحاماً، واذا علمنا بان المأمون كان كمايحدثنا التاريخ اعلم الخلفاء العباسيين واعرفهم بعلوم اهل زمانه، ثم رأيناه كيف يخشع لجلال ابن الرضا (ع) في المشاهد التي مضت علينا، نعف معنى العلم الالهي ونوعيته.

واليك بعض الاحاديث التي تُنبئنا عن جانب من علم الامام الجواد (ع):

١ــ عن امية بن علي قال كنت مع ابي الحسن بمكة في السنة التي حج فيها، ثم صار الى خراسان ومعه ابو جعفر وابو الحسن يودع البيت، فلما قضى طوافه عدل الى المقام فصلى عنده فصار ابو جعفر على عنق موفق يطوف به، فصار ابو جعفر الى الحجر، فجلس فيه فاطال، فقال له موفق: قم جعلت فداك، فقال: ماأريد ان ابرح من مكاني هذا الا ان يشاء الله، واستبان في وجهه الغم، فاتى موفق ابا الحسن (ع) ، فقال له جعلت فداك قد جلس ابو جعفر في الحجر وهو يابى ان يقوم، فقام ابو الحسن (ع) فاتى أبا جعفر فقال له: قم ياحبيبي، فقال: ماأريد ان ابرح من مكاني هذا، فقال: بلى ياحبيبي، ثم قال: كيف اقوم وقد ودعت البيت وداعاً لا ترجع اليه، فقال: قم ياحبيبي، فقام معه.

٢ــ يحيى بن اكثم كان قاضي القضاة في عهد المأمون، و يذهب بعض المؤرخين الى انه تشيع اخيراً او كان شيعياً، فينقل منه انه قال: فبينا اطوف بقبر رسول الله (ص)، رأيت محمد بن علي الرضا (ع) يطوف به، فناظرته في مسائل عندي، فاخرجها الي، فقلت له والله اني اريد أن أسألك مسألة واحدة، واني والله لاستحي من ذلك، فقال لي: انا اخبرك قبل ان تسألني، تسألني عن الامام، فقلت هو والله هذا، فقال اذاً هو، فقلت علامة، فكان في يده عصا فنطقت وقالت: انه مولاي امام هذا الزمان وهو الحجة(١).

٣ــ نقل بعض الرواة انه اجتاز المأمون بابن الرضا (ع) وهو مابين صبيان، فهربوا سواه فقال: عليّ به، ثم قال له: مالك لم تهرب في جملة الصبيان؟ قال: مالي ذنب فافرّ منه، ولا الطريق ضيق فأوسعه عليك، سر حيث شئت، فقال: من تكون انت؟ قال: انا محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (ع)، فقال: ماتعرف من العلوم؟ قال: سلني عن اخبار السموات، فودعه ومضى وعلى يده باز أشهب يطلب به الصيد فلما بعد عنه، نهض عن يده الباز، فنظر يميناً وشمالاً لم يرَ صيداً والباز يثب عن يده، فارسله فطار يطلب الافق حتى غاب عن ناظره ساعة ثم عاد اليه، وقد صاد حية فوضع الحية في بيت الطعم، وقال لاصحابه: قد دنا حتف ذلك الصبي في هذا اليوم عني يدي، ثم وابن الرضا (ع) كان في جملة الصبيان، فقال ما عندك من اخبار السموات، فقال: نعم ياامير المؤمنين حدثني ابي عن ابائه عن

---

(١) الكافي. ج١. ص٣٥٣

النبي(ص) عن جبرائيل عن رب العالمين انه قال: بين السماء والهواء بحر عجاج، تتلاطم به الامواج، فيه حيات خضر البطون، رقط الظهور، يصيدها الملوك بالبزاة الشهب يمتحن به العلماء.

فقال: صدقت وصدق ابوك وصدق جدك وصدق ربك، فاركبه، ثم زوجه ام الفضل(١).

٤ــ ويروي عن فاصد طلبه الامام أبو جعفر الثاني في عهد المأمون، فقال له: افصدني في العرق الزاهر، فقال له: ماأعرف هذا العرق ياسيدي، ولا سمعت به، فاراه اياه، فلما فصده خرج منه ماء اصفر فجرى حتى امتلأ الطشت، ثم قال له امسكه، وامر بتفريغ الطشت ثم قال خل عنه، فخرج دون ذلك، فقال شده الان، فلما شد يده، امر له بمائة دينار فاخذها وجاء الى يوحنا بن بختيشوع، فحكى له ذلك، فقال والله ماسمعت بهذا العرق من نظرتي في الطب، ولكن هاهنا فلان الاسقف، قد مضت عليه السنون، فامض بنا اليه، فان كان عنده علمه، والا لم نقدر على من يعلمه، فمضينا ودخلنا عليه، وقصّ القصص، فاطرق ملياً ثم قال: يوشك ان يكون هذا الرجل نبياً او من ذرية نبي.

وهكذا تمضي الاحاديث تنقل عن الائمة عجباً، ولكن لاعجب من امر الله، اذ يشاء ان يجعل علمه ومعرفته وقوته وقدرته في انسان امتحن قلبه، فزكاه

(١) بحار الانوار. ج٥٠. ص٥٦. ط٢

وطهره تطهيراً.

د ــ من كلمات الامام:

الروايات المفتعلة ــ يروى ان المأمون لما زوج ابنته ام الفضل ابا جعفر(ع) كان ذات يوم في المجلس وعنده الامام ويحيى بن اكثم، وجماعة كثيرة، فقال له يحيى بن أكثم: ماتقول ياابن رسول الله في الخبر الذي روي انه نزل جبرائيل على رسول الله(ص) وقال:

(يا محمد ان الله عز وجل يقرؤك السلام و يقول لك: سل ابا بكر هل هو عني راضي، فاني عنه راضي فقال ابو جعفر: لست بمنكر فضل ابي بكر).

ولكن يجب على صاحب هذا الخبر ان ياخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله(ص) في حجة الوداع:

(قد كثرت علي الكذّابة، وستكثر، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، فاذا اتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله وسنتي فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تاخذوا به)

وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، قال تعالى:

[ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه

ونحن اقرب اليه من حبل الوريد].(١)

فالله عزوجل خفي عليه رضا ابي بكر من سخطه حتى سأل من مكنون سره، هذا مستحيل في المعقول.

ثم قال يحيى بن اكثم وقد روي ان مثل ابي بكر وعمر في الارض كمثل جبرائيل وميكائيل في السماء.

فقال عليه السلام: وهذا ايضاً يجب ان ينظر فيه لان جبرائيل وميكائيل ملكان لله مقربان لم يعصيا قط ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة وهما قد اشركا بالله عزوجل وان اسلما بعد الشرك وكان اكثر ايامهما في الشرك بالله فمحال ان يشبّههما بهما.

قال يحيى: وقد روي ايضا انهما سيدا كهول اهل الجنة فما تقول فيه؟ فقال (ع): وهذا الخبر محال ايضا لان اهل الجنة كلهم يكونون شباباً ولايكون فيهم كهل وهذا الخبر وضعه بنو امية لمضادة الخبر الذي قال رسول الله في الحسن والحسين بانهما سيدا شباب اهل الجنة.

فقال يحيى بن اكثم: ان عمر بن الخطاب سراج اهل الجنة؟ فقال (ع) هذا ايضاً محال لان في الجنة ملائكة الله المقربين وآدم ومحمداً وجميع الانبياء والمرسلين لا تضيء بانوارهم حتى تضيء بنور عمر.

---

(١) سورة ق ـ آية ١٦

فقال يحيى: وقد روي ان السكينة تنطق على لسان عمر.

فقال عليه السلام: ان ابا بكر كان افضل من عمر فقال على رأس المنبر: ان لي شيطاناً يعتريني فاذا ملت فقوموني فقال يحي: قد روي ان النبي(ص) قال: لو لم ابعث لَبُعِثَ عمر؟.

فقال(ع) كتاب الله اصدق من هذا الحديث، يقول الله في كتابه:

[واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح]

فقد اخذ الله ميثاق النبيين فكيف يمكن ان يبدل ميثاقه وكان الانبياء لم يشركوا طرفة فكيف يبعث بالنبوة من اشرك وكان اكثر ايامه مع الشرك بالله وقال رسول الله(ص) نبئت وآدم بين الروح والجسد.

فقال يحيى بن اكثم: وقد روي ان النبي(ص) قال:

ماانحتبس الوحي عني قط الا ظننته قد نزل على آل الخطاب فقال عليه السلام: وهذا محال ايضاً لانه لايجوز ان يشك النبي في نبوته.قال الله تعالى:

[الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس]

فكيف يمكن ان تنقل النبوة ممن اصطفاه الله الى من اشرك به.

قال يحيى بن اكثم: ان النبي (ص) قال لو نزل العذاب لما نجي منه الا عمر، فقال علي السلام: وهذا محال ايضاً ان الله يقول:

| وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون |

فاخبرسبحانه الا يعذب احداً مادام فيهم رسول الله (ص) وما داموا يستغفرون(١).

هـ ــ انا محمد:

□ وروي انه جيء بابي جعفر(ع) الى مسجد رسول الله (ص) بعد موت ابيه وهو طفل وجاء المنبر ورقى منه درجة ثم نطق فقال:

(انا محمد بن الرضا انا الجواد انا العالم بانساب الناس في الاصلاب انا اعلم بسرائركم وظواهركم وما انتم صائرون اليه، علم منعنا به من قبل خلق الخلق اجمعين وبعد فناء السموات والارضين ولولا تظاهر اهل الباطل ودولة اهل الضلال ووثوب اهل الشك لقلت قولاً تعجب منه الاولون والاخرون)

---

(١) بحار الانوار. ج٥. ص٨٣. ط٢

ثم وضع يده الشريفة على فيه وقال:

يا محمد اصمت كما صمت آباؤك من قبل.

وفيما نأتي على هذا القدر المقدور نحمد الله تعالى ونصلي على نبيه والمعصومين من آله ونسلم لهم تسليماً.

محمد تقي المدرسي

كربلاء المقدسة/العراق

٨٦/١١/٣٠هـ

الفهرس

ـ المقدمة ٣

■ الفصل الأول:

ـ الأصل الكريم والميلاد المبارك ٧

■ الفصل الثاني:

ـ حياته وامامته ١٧

■ الفصل الثالث:

ـ الامام وعصره ٤٣

■ الفصل الرابع:

ـ خلقه وفضائله ٥٩

2931

هذا الكتاب

الامامة في عقيدة الشيعة القائلين بها تختلف عنها في منطق الاخرين كثيراً. ان الكلمة تعني عند الشيعة الخلافة المطلقة لشخص الرسول ولعلومه ومعارفه ومؤهلا ته وصلاحياته ومسؤولياته، وبتعبير اخر «صورة كاملة للنبوة»، بفارق واحد فقط ان الامام لا يوحى اليه، بينما يوحى اليه، فلا نبي بغير وحي، ولكن الامام بدونه.

والنبوة ــ في منطق الاسلام ــ صلاحية فريدة في نوعها ومتميزة عن صلاحيات سائر البشر، يهبها الله تعالى الى فرد يختاره ويجعله وسيطاً يتلقى الوحي منه وينشره بين قومه، واذا تمت هذه الفكرة عن النبي تتم عن الامام بنفس الملاك ونفس الحجة، وكما انه اذا صح القول بانه من الممكن ان يغتدي الصبي نبياً وهو في المهد رضيع، صح ذلك في الامام(عليه السلام).

السعر: ١٠٠ريال ايراني

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
Oct. - Dec. 1995
We're Quality Bound

Princeton University Library
32101 058335967